

العنوان:	نقد الأديان عند ابن حزم الأندلسي (384 - 456 هـ / 994 - 1063م)
المؤلف الرئيسي:	المقراني، عدنان
مؤلفين آخرين:	خليفة، صالح(مشرف)
التاريخ الميلادي:	1995
موقع:	تونس
الصفحات:	1 - 449
رقم MD:	857659
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
اللغة:	Arabic
الدرجة العلمية:	رسالة دكتوراه
الجامعة:	جامعة الزيتونة
الكلية:	المعهد الأعلى لأصول الدين
الدولة:	تونس
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد، ت. 456 هـ.
رابط:	<a href="http://search.mandumah.com/Record/857659">http://search.mandumah.com/Record/857659</a>

للاستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب أسلوب الاستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

المقراني، عدنان، و خليفة، صالح، (1995). نقد الأديان عند ابن حزم الأندلسي (384 - 456 هـ / 994 - 1063م)  
(رسالة دكتوراه غير منشورة). جامعة الزيتونة، تونس. مسترجع من  
<http://search.mandumah.com/Record/857659>

إسلوب MLA

المقراني، عدنان، و صالح خليفة. "نقد الأديان عند ابن حزم الأندلسي (384 - 456 هـ / 994 - 1063م)" رسالة  
دكتوراه. جامعة الزيتونة، تونس، 1995. مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/857659>

## الخاتمة

تكمن أهمية نقد ابن حزم للأديان في نقده لديانتي أهل الكتاب النصرانية واليهودية ، وبصفة خاصة في نقده لنصوصهما المقدسة . وينقسم نقده لهذين الدينين إلى قسمين :

قسم يمثل جزءا من الخطة الأصلية لـ " الفصل " ، تميز - في معظمه - بالطابع الكلامي النظري ، الذي يعطي الأولوية للأفكار على النصوص ، ويعنى بسبر الآراء ، وتقسيمها ، لحصر الاحتمالات الواقعية منها والافتراضية ، ثم الرد عليها جديدا ، حتى لا يترك للخصم منفذا يحتج به ، أو إلزامه - عن طريق القياس الأرسطي - بنتيجة لا يقر بها أصلا ، انطلاقا من مقدمات يعترف بصحتها ، إلى آخره من الأساليب الجدلية ...

وعلى العموم ، لم يبدع ابن حزم كثيرا في هذا القسم ، من حيث القضايا المطروحة ، مقارنة بغيره من النقاد المسلمين . إذ تناول بالرد العقائد النصرانية الأساسية المتمثلة في التثليث ، والاتحاد والتجسد ، والصلب ، كما رد على اعتقاد اليهود خلود شريعتهم ، وعدم اعترافهم بما تلاها من رسالات ، فهذه المسائل تعد بمثابة موضوعات تقليدية لا غنى عن ذكرها .

أما نقد ابن حزم للأريوسية كنحلة منكرة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فيعكس خصوصية أندلسية ، لبقاء طائفة منها ببلده ، وفي عصره أو قبله بقليل . فلم يكتف - كغيره من النقاد - باعتبار الأريوسية مجرد شاهد على الأصل التوحيدي للنصرانية ، ولم ينظر إليها كفرقة بائدة . كما أن ربطه بينها وبين اليهودية في النقد ينم عن نظرة عميقة لتاريخ الأديان ، لأن الصلة التي تربط - في

نظره - النصرانية الموحدة باليهودية أقوى من صلتها بالنصرانية المثلثة .

وما تميز به ابن حزم في هذا القسم ، شدة انسجامه مع مبادئه ومذهبه في صياغة استدلالاته وردوده . إلا أنه - في بعض الأحيان - كان يساير مخالفه في استدلالاتهم ومناهجهم ، قصد بيان تهاافتها وتناقضها في ذاتها . وفي أحيان قليلة ، كان يحمل مخالفه ما لم يقوله ، أو يلزمهم بأفكاره الخاصة .

أما القسم الثاني من النقد ، فجاء في ملحق مضاف إلى " الفصل " ، خاص بنقد النصوص اليهودية والنصرانية . وهو يمثل بحق جانب الجدة والريادة عند ابن حزم ، وينقسم بدوره إلى قسمين :

أحدهما النقد الداخلي للنصوص من حيث فحواها ومضمونها . قام فيه ابن حزم بمسح النصوص القابلة للنقد بطريقة منظمة دقيقة ، تمثلت في تقسيم كل سفر إلى سلسلة من الأفكار ، فالمقارنة فيما بينها ، ثم المقارنة بينها وبين أفكار السفر الموالي على الترتيب ، وهكذا دواليك ... حتى مسح معظم الأفكار ، وحصر جل التناقضات والأخطاء . وقد تجسد التطبيق الأمثل لهذه الطريقة في نقد الأنجيل فالتوراة ، أما بقية أسفار الكتاب المقدس ، فغلب على نقدها جانب الانتقاء . لذا يظل ابن حزم أول وأكثر من توسع في نقد هذه الأسفار في حدود ما وصلنا من تراث إسلامي .

وإن كانت ميزة هذه الطريقة الإحاطة والاستيعاب ، فإن سلبيتها هي تبعثر الأفكار ، لورودها بمناسبة النص ووفق ترتيبه ، لذا كان من مهمة هذه الأطروحة إعادة ترتيب الأفكار النقدية ترتيبا موضوعيا ، حسب المحاور الرئيسية للنقد ، مما يكشف عن تناسق الأفكار وترباطها ، ويسهل فهمها فهما كليا يعطي لها القيمة التي تستحق ، ويبرز جهود ابن حزم في هذا المجال ، حيث وظف جل معارفه في النقد : من تاريخ ، وجغرافية ، ومنطق ، وحساب ، ومعطيات الحس ، ومجريات العادة ، وبدائه العقل الخ ...

ويلاحظ في ثنايا الملحق الخاص بنقد الكتاب المقدس ، العناية الفائقة التي أولاها ابن حزم لضبط النصوص ونسبتها إلى أصولها . وهذا مقارنة بالقسم الأصلي من " الفصل " ، حيث كان - في الأغلب - لا يحدد الأسفار والإصحاحات ، ويقلل عموما من الاستشهاد بالنصوص ، ويروي بعضها بالمعنى وباختصار .

ويمكن القول إن ما اعتمده ابن حزم من أسفار الكتاب المقدس هو نفسه تقريبا ما يتوفر بين أيدينا اليوم . وما يدعم هذا عدم وجود مشاكل في تخريج النصوص الكتابية ، إلا في القليل النادر . كما أن الوصف الدقيق الذي قدمه ابن حزم لأسفار التوراة والعهد الجديد ، من حيث حجمها وعدد أوراقها ... يتماشى والمعطيات الحديثة .

ولكون ابن حزم لم يكن يعرف اللغة العبرية ، فقد اطلع على أكثر من ترجمة واحدة للعهد القديم . ويرجح أن تكون هذه الترجمة أو الترجمات من عمل يهودي خبير بأسرار اللغة العبرية ، ومتأثر بالثقافة العربية الإسلامية ، نحى بترجمته منحى تفسيريا بسيطا . وواضح أن ابن حزم لم يكن مدركا للبعد التفسيري للترجمة ، إلا أنه من حسن حظه كون هذا النمط من التفسير اليهودي مقتصدا في التدخل في النص ، مما أنقص من الانعكاسات السلبية على النقد .

أما بالنسبة لترجمة أو ترجمات العهد الجديد ، فقد ظلت أنظار الباحثين متجهة صوب اللغة اللاتينية ، كأصل ترجم منه إلى اللغة العربية . أما هذه الأطروحة ، فقد ذهبت في اتجاه آخر ، وهو اعتبار اللغة المترجم منها هي اللغة اليونانية ، مع ترجيح كون المترجم شخصا مسلما مشبعا بثقافته العربية الإسلامية ، وواعيا بالأغراض الجدلية التي توجه ترجمته للنصوص ، بحذق وذكاء ينمان عن خبرة بأسرار اللغة اليونانية ، ويستبعد أن يكون المترجم نصرانيا ، وقد يكون ابن حزم نفسه ! .

ويلاحظ أن ابن حزم - سواء في نقده للعقائد النصرانية أم عند تناوله لنصوصها - لم يلتزم بمصطلحاتها الخاصة ، لكي يفتح المجال لقراءة جديدة غير محكومة بسلطة المرجعية النصرانية الرسمية ، ولكي يوجد تأويلا موازيا للتأويل النصراني ، ينافسه في المشروعية المستقاة من لغة العهد الجديد ، ومن المعارف الإنسانية المشتركة .

وبصفة عامة ، كان ابن حزم ظاهريا منسجما مع مبادئه في معظم نقده ، إلا أنه - في أحيان قليلة - تعرضت ظاهريته لمحك التأويل ، خصوصا عندما تناول نصوصا رمزية تتعلق ببعض النبوءات والبشارات . كما كان نقده لبعض النصوص النصرانية الغنوصية سطحية إلى حد ما .

أما النقد الخارجي للنصوص الكتابية ، فيعنى بسندها وتاريخها ورواتها ، حيث حاول ابن حزم أن يبين أثر العوامل التاريخية والاجتماعية والسياسية على تطور النصوص ، مما أدى إلى انقطاع أسانيدھا ودخول التحريف والتبديل عليها . كما قارن بين طرق نقل المسلمين لنصوصهم وطرق نقل غيرهم ، مبينا انفراد النقل الإسلامي بالصحة والاعتبار .

وأبرز تحليل ابن حزم للتاريخ اليهودي من موسى - عليه السلام - إلى عزرا الوراق ، جهوده الحثيثة والمتأنية في استقراء النصوص اليهودية وتحليلها ، لأجل استخلاص الحالة الدينية في كل مرحلة من المراحل التاريخية المتعاقبة ، مستنتجا غلبة الكفر والارتداد على اليهود ، مما أدى إلى ضياع نقلهم .

ومن التحليلات العميقة التي ذكرها ابن حزم في هذا الصدد ، تحليل ظاهرة الانتشار النسبي للتوراة المحرفة بالتحول الذي مرَّ جوهر العبادة اليهودية ، فبعد أن كانت عبادة مركزية قربانية صارت لا مركزية قوامها الصنلة ، فازدادت لذلك الحاجة إلى تداول التوراة ونسخها للعبادة والتعليم .

أما النقل النصراني ، فقد دخله الخلل من جهة رواته الأوائل الذين تثير

أخلاقهم وسيرهم - حسب أسفار العهد الجديد نفسه - تساؤلات عديدة حول عدالتهم ومصادقيتهم . كما ساهمت عوامل أخرى في ضياع النصوص الأصلية ، تتمثل مثلا في الاضطهاد الشديد الذي لاقتة بواكير الأجيال النصرانية ، وعدم وجود دولة تحفظ الدين الجديد في نشأته الخ ...

وأشار ابن حزم إلى ضياع نقول المجوس والصابئة ، مبينا أن السبب الأساسي لضياع نقول الأديان السابقة للإسلام ، هو احتكارها من قبل فئة قليلة من الكهنة ، فتظل محصورة التداول ضمن دائرة مغلقة ، مما يجعل أمر تغييرها وضياعها ميسرا .

أما بالنسبة للأديان الشرقية ، فإن معرفة ابن حزم بها كانت هزيلة عموما ، نظرا لبعده التاريخ والجغرافية ، وانعدام الاتصال المباشر . فنسب إلى بعضها ما ليس منها ، أو نفى عنها ما هو أصيل فيها ، أو غفل عن ذكر قضايا هامة من هذه الأديان .

فتراه مثلا ينفي نسبة الأسطورة الزروانية في شكلها المتأخر عن المجوسية ، وينسب إليها نظرية القدماء الخمسة ، التي لا تزال الشكوك تحوم حول أصلها الحقيقي .

كما أنه لم ينسب عقيدة تناسخ الأرواح إلى البرهمية ( الهندوسية ) ، على الرغم من مركزيتها في هذه الديانة . ولكنه نسب التناسخ إلى بعض الدهرية والمنتسبين إلى الإسلام . فاعتبرت الأطروحة هذا النقد نقدا غير مباشر وغير واع بذاته للبرهمية .

لقد انعكس هذا الخلل في التعريف بالأديان الشرقية وعدم الاطلاع على نصوصها على نقد عقائدها بصفة عامة ، والأمثلة عديدة في الأطروحة . إلا أنه تبقى لعمل ابن حزم أهميته ، لعلاقته بفكره ككل وظروف عصره .

وممن مميزات هذا النقد توظيف ابن حزم المنهج المقارن فيه ، لكي يربط بين

بعض التيارات الفكرية الأندلسية كالمسرية وبين أصولها الإسلامية المشرقية ، وبين هذه الأطراف والأديان الشرقية ، فالمقارنة هنا وسيلة لإدانة انحرافات بعض الفرق الإسلامية لتأثرها بالأديان المذكورة ، ووقوعها في نفس الأخطاء المنهجية . كما أبرز هذا النقد ارتباط ابن حزم بالمرجعيات الأرسطية في الفيزياء والكوسمولوجيا ، خاصة في نقد الأديان الثنوية .

في خضم هذا النقد الموسوعي للأديان ، كان ابن حزم ملتزما بقواعد منهجية ثابتة ، لم يحد عنها إلا في القليل النادر ، تتمثل أساسا في تعريفه بموضوع النقد ، وتحديد المصطلحات والمفاهيم ، وضبط المعايير النقدية ، قبل الخوض في عملية النقد وتشعباتها ، وذلك حرصا منه على مبدأ الوضوح والبساطة .

كما حرص ابن حزم في الخطة الأصلية - الفصل - على ترتيب النقد بدءا من الأديان الأبعد عن الإسلام وصولا إلى أقربها منه . وباستثناء هذا التصنيف المقارن العام ، فإن المنهج المقارن عند ابن حزم له وظيفة تكميلية لا أساسية في النقد ، إذ غلب عليه المنهج الأحادي .

ومن المميزات العامة لنقد ابن حزم للأديان ، انطلاقه من منظومة فكرية محددة المعالم والمنهجية ، نحو نقد الأسس المعرفية التي سمحت بصدور الأفكار المنحرفة في نظره . لذا أخذ نقده صبغة " الحفر المعرفي " عن جذور الأفكار وأصولها الإبستمولوجية . والأساس لمعظم انحرافات الأديان والمذاهب عند ابن حزم هو : منهج قياس الغائب ( الله ) على الشاهد ( العالم ) ، فالإنسان المحكوم بأطره المعرفية الضيقة ، والمحدود بشرطه البشري القاصر ، يتصور الإله على شاكلته ، بل تراه يقع في هذا التشبيه أحيانا ، من حيث أراد التنزيه والتسبيح . والحل - في نظر ابن حزم - هو الأخذ بظاهر الخبر الصادق المنبئ عن حقيقة عالم الغيب ، من دون تضمين النصوص أفكارنا المسبقة ، فتفقد قيمتها الدينية التبليغية .



من خلال نتائج الأطروحة ، يتبين أن لعمل ابن حزم قيمة هامة في تاريخ علم الأديان ، فهو يمثل قفزة نوعية من حيث المنهج ومراكز الاهتمام ، أعطت للنص الديني مكانته العليا ، من حيث كونه المعبر الصادق عن مكنون الدين وجوهره .